

# منبر المحراب

## الإباء الحسيني

السنة التاسعة عشرة

العدد ٩٦٦ - ٣ / محرم / ١٤٣٣ هـ

الموافق ٢٩ / تشرين الثاني / ٢٠١١ م

### مباحث الموضوع الرئيسية:

١. الخضوع التام لله.
٢. ذلٌ لله وحلمٌ على عباد الله.
٣. لكن، الذلٌ لغير الله مرفوض.
٤. صور من إباء سيد الشهداء.

### الهدف:

التعريف بجانب من جوانب شخصية الإمام الحسين (عليه السلام)، وهو أنه سيّد الأباة للظلم، والعبد الصالح لله.

### تصدير الموضوع:

عن الحسين (عليه السلام): «ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ، قد ركز بين اثنتين: بين السّلة والذّلة، وهيهات ممّا الذّلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللّثام على مصارع الكرام»<sup>(١)</sup>.

(١) مقتل الخوارزمي، ج ٢، ص ٦.

### الخضوع التام لله تعالى

إنّ الإمام أبا عبد الله الحسين (عليه السلام)، الذي وقف في المواقف المختلفة، يعلن افتقاره إلى ربه «إلهي أنا الفقير في غناي، فكيف لا أكون فقيراً في فقري؟» ويقرّ بحاجته المطلقة إلى الارتباط بالله، حتى لا يكون من الجاهلين

وهو الذي يقول (عليه السلام): «حقٌ لمن وقف بين يدي الجبار أن يصفرّ لونه وترتعد فرائصه»<sup>(٢)</sup>.

وقد رُوي عنه في مقابل ذلك أنه قال: «لو شتمني رجلٌ في هذه الأذن. وأوماً إلى اليمنى. واعتذر لي في اليسرى، لقبّلت ذلك منه. وذلك أنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) حدّثني أنّه سمع جدّي رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: لا يردّ الحوض من لم يقبل العذر من محقٍّ أو مبطل»<sup>(٣)</sup>.

### الذلّ لغير الله مرفوض

لكن الحسين الراضخ لله، المستكين له، الذي يظهر كلّ هذا التذلّل، هو عينه الذي وقف مع أبيه عندما نهضت بالأمة قوى الطغيان من الناكثين والقاسطين والمارقين.

ووقف مع أخيه الحسن (عليه السلام) في مواجهة الظالمين جميعاً، وبكل جرأة في مواجهة الفتن والمحن من أجل حفظ الأمة، والصّفة المخلصة، من أهل الولاية.

(٢) جامع الأخبار، ص ٧٦.

(٣) الشهيد التستري في إحقاق الحق، ج ١١، ص ٤٣١.

«إلهي أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي؟» «فاجمعني عليك بخدمة توصلني إليك... وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبك نصيباً» نجد الإمام (عليه السلام)، يعلن انكساره وذلّه أمام الملك الجبار، غير أبه بكل اعتبارات الدنيا، والتّأمّام الناس من حوله في ساحة عرفة، في يوم مشهود بكى فيه كثيراً وأبكى الحاضرين «إلهي هذا ذلّي ظاهر بين يديك، وهذا حالي لا يخفى عليك»<sup>(١)</sup>.

### ذلٌ لله وحلمٌ على عباده

أظهر الإمام الحسين (عليه السلام) هذا الخضوع التام لربه، والاستكانة غير الخجل بها، والإقرار بكلّ الفضل لربه والتقصير من قبله، حيث ينقل الذهبي والهيثمي أنه «كان يخرج متذللاً لله، ساعياً إلى بيته الحرام، يؤدي مناسك الحج بخشوع وتواضع، حتى حجّ خمساً وعشرين حجة ماشياً على قدميه»<sup>(٢)</sup>.

(١) من دعاء الإمام الحسين (عليه السلام) الوارد في بعض نسخ الإقبال للسيد ابن طاووس، نقله الشيخ عباس القمي في مفاتيح الجنان، ص ٣٣٠، ٣٣١.

(٢) الذهبي في سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ١٩٣، والهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٠١.

## إليه يصعد الكلم الطيب

وهو الذي وقف كذلك مدة عشر سنوات في مواجهة بطش معاوية بحق الزمرة الأبية من الموالين.

وهو الذي وقف بكل إباء وشموخ رافضاً أن يبايع الفاسق المتهتك، مؤكداً أحقيته بالمبايعة بحسب نصّ الصلح الذي نقضه معاوية. لكن الإمام عليه السلام انتظر والترم هذا الصلح حتى هلك معاوية. وعندما طلب منه الوليد بن عتبة والي المدينة الأموي البيعة ليزيد، أجابه بجرأته المعهودة وصراحته المشهودة: «إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة ومحل الرحمة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد فاسق، فاجر، شارب للخمر، قاتل المحترمة، ملعن بالفسق والفجور، ومثلي لا يبايع مثله»<sup>(١)</sup>.

### صور من إباء سيد الشهداء عليه السلام

١. عندما كان الحرّ بن يزيد الرياحي يجمع بجيش أبي عبد الله عليه السلام، قال له الحرّ: «أذكرك الله في نفسك، فإني أشهد: لئن قاتلت لتقتلن، ولئن قوتلت

لتهلكن»، فقال الإمام عليه السلام: «أبالموت تخوفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلونني؟ ما أدري ما أقول لك، ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً وواسى رجالاً صالحين بنفسه وخالف مثبوراً وفارق مجرماً فإن عشتُ لم أندم وإن متّ لم ألم كفى بك ذلاً أن تعيش وترغماً»<sup>(٢)</sup> وكان من قبل قد أجاب محمداً أخاه عندما نصحه أن يهدأ أو يخرج إلى مكان آمن: «يا أخي، والله، لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى، لما بايعت يزيد بن معاوية»<sup>(٣)</sup>.

وعندما خطب في القوم الظالمين تلك الخطبة العصماء، ملقياً عليهم أبلغ الحجج، مودعاً قلوبهم أحكم البراهين، مطوّقاً أعناقهم بحرمة دمه ودم أصحابه وأهل بيته، طلبوا منه أن ينزل على حكم بني عمه، فأجابهم عليه السلام قائلاً: «لا والله، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد»<sup>(٤)</sup>.

وإذا تصفّحنا السنوات العشر الأخيرة من حياة المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام، ومراسلاته لمعاوية التي صدع فيها بالحق، وصرّح فيها بمعارضته لكل أفعاله وأفعال مواليه، وإذا نظرنا إلى مواجهاته مع ولاية معاوية في مكة والمدينة ومع أزماتهم، لوجدنا شواهد تضيق بها هذه السطور.

لكن نختم بتلك الخطبة التي ختم بها عليه السلام حياته يوم العاشر من المحرم، وهو يقف بين صفوف الأعداء يقول عليه السلام في آخر تلك الخطبة:

«... ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين: بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة! يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام. ألا وإني زاحف بهذه الأسيرة، على قلة العدد وخذلان الناصر...»<sup>(٥)</sup>.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٢٥٤، والكامل لابن الأثير، ج ٣، ص ٢٧٠.  
(٣) الفتوح، ج ٥، ص ٢٣.  
(٤) الشيخ المفيد في الإرشاد، ج ٢، ص ٩٨.

(٥) ابن عساکر في تاريخ دمشق، ج ٦٩، ص ٢٦٥، وابن طلاووس في اللهوف على قتلى الطفوف، ص ٥٩ و ١٢٤.

(١) مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ١٨٤ والفتوح لابن الأعمش، ج ٥، ص ١٤.